النوع الاجتماعى فى الوسائل الإعلامية*

هند فؤاد **

تمهيد

فى سياق الثورة العالمية التكنولوجية السائدة ظهرت دراسات كثيرة عن وسائل الإعلام، ولكن لم يُنظر إليها بشكل شمولى تكاملى، لذا تحاول الدراسة التركيز على التطور التاريخى لدراسات الإعلام ونظرياته التى يرتكز عليها، كما تحاول بناء نظرة تكاملية من خلال التطبيق على نماذج حديثة ودراسات حالة فى كل الأنحاء، لكى ترشد دارسى الوسائل الإعلامية لنقاط البدء المثالية وتمدهم برؤية واضحة لكل نموذج.

مقدمة

أثير الجدل فى الآونة الأخيرة حول أهمية دراسة النوع الاجتماعى، وهذا الجدل قائم على عدم الوعى الثقافى بالفرق بين النوع والجنس، فدراسات النوع الاجتماعى مبنية على التمييز الذى يمكننا ملاحظته بين الجنس والنوع، والجنس يشير من الناحية البيولوجية إلى وصف الكروموسومات بشكل تشريحى سواء للذكور أو الإناث. أما النوع فلا يشبه الجنس، فهو ليس بيولوجيًا لكنه ثقافى، أى أن النوع يشير إلى الذكورة والأنوثة ويصف أنماط استيعابهم للسلوك والتفاعل الإنسانى، ولهذا نتساءل، كيف للشخص أن يقّوم أو يفعّل ذكوريته أو أنثويته وفقا للثقافة أو لمحتوى الفكر الثقافى

* Niall Richardson and Sadie Wearing, Gender in the Media, Palgrave Macmillan, 2014, 142 p.

** مدرس علم الاجتماع بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية.

المجلة الاجتماعية القومية، المجلد الرابع والخمسون، العدد الأول، يناير ٢٠١٧ .

السائد؟ وما السن أو العمر الذى تعتبره الثقافة ملائمًا أو مناسبًا للذكورة أو الأنوثة للقيام بالأدوار المتوقعة عن الرجل والمرأة فى الثقافة الغربية المعاصرة؟

ومثالاً على ذلك، فإن النمط الثقافى السائد فى القرن الثامن عشر المتعلق بالأزياء والموضة الذى كان يلائم الذكور والإناث آنذاك، نجده لا يمكن أن يتلاءم مع الموضة والنمط الثقافى السائد فى العصر الحالى. بعبارة أخرى، الأزياء التى تلائم الذكور فى العصور الماضية لا تلائمهم فى العصر الحالى، وهكذا الحال بالنسبة للإناث، وذلك نظرًا لتغير الأفكار والنمط الثقافى من عصر لآخر.

ويشير ذلك إلى أن تحديد النمط الثقافى الملائم لكل من الذكور والإناث فى الوقت الحالى يشكل صعوبة بالغة، حيث إن هذا النمط الثقافى لا يُكتسب وفقًا للنوع "ذكورًا أم إناثًا"، وإنما يتحدد وفقا للوعاء والنمط الثقافى الذى يكتسبه ويتعلمه من المؤسسات الثقافية والاجتماعية المختلفة مثل "الأسرة، الأصدقاء، المدرسة" فتلك المؤسسات تعمل على إكساب كل من الذكور والإناث نماذج ثقافية مختلفة تلائم كلا النوعين، وتحدد أدوارهما داخل المجتمع. ومثالاً على ذلك توصف الأنثى بأنها الجنس اللطيف الناعم الذى لا يتحمل المواقف الصعبة بعكس الرجال.

وبناء على ما سبق، يمكن استخلاص حقيقة مفادها أن الجنس يشير إلى "الطبيعة البيولوجية للذكور والإناث"، أما النوع فيشير إلى "الطبيعة الثقافية التى يكتسبها الذكور والإناث" وفقا للنمط الثقافى السائد فى ذلك العصر.

ينقسم هذا الكتاب إلى جزئين، الجزء الأول، يتناول أسئلة حول النظرية تحاول وضع خطوط رئيسة للنظريات التقليدية والثقافية فى دراسة النوع الاجتماعى "الجندر" ويشتمل على عدد ثلاثة فصول، والجزء الثانى يشمل دراسات حالة للوسائل الإعلامية التى تناقش تطبيق النماذج الثقافية فى الوسائل الإعلامية المختلفة مثل "الدراما التليفزيونية، المجلات، الاحتفالات الثقافية، عروض مباشرة وغير مباشرة، الإنترنت" ويشمل أربعة فصول. وإجمالاً عدد صفحات الكتاب ١٤٢ صفحة إضافة إلى الخاتمة والببليوجرافيا.

الجزء الأول: أسئلة حول النظرية

الفصل الأول: الحركات النسوية

يقدم للطلبة النظرية الثقافية النسوية، والمنظور النقدى لدراسة الوسائل الإعلامية وذلك من خلال إلقاء الضوء على بدايات النظرية النسوية، وصور وأنماط المرأة التى تبثها الوسائل الإعلامية المختلفة، حيث تقوم على فرضية مؤداها أن الرسالة الإعلامية المبثة حول المرأة فى الوسائل الإعلامية المختلفة تركز على صورة الجسد من النواحى الفسيولوجية، ولا تدرك الاختلافات النوعية لهذه الرسالة من خلال طبيعة العمل ومدته وفترته الزمنية؛ بينما العمل المعروض الذى يتبنى منظور الدراسات الثقافية يهتم بالدخول فى العلاقات الأنثوية والنوع. كما أثير العديد من الجدل حول تبنى الوسائل الإعلامية المعاصرة لنظريات ما بعد النسوية، فكلها رؤى نظرية تحتاج إلى نقد وتقييم حتى يمكن تطبيقها على الوسائل الإعلامية المعاصرة.

الفصل الثانى: الذكورة

يقدم للطلبة دراسة النوع الاجتماعى بالتركيز على "الذكورة". أى يتناول الاختلافات الثقافية فى دراسة الذكورة مقابل الأنوثة. فالذكور يتمتعون فى الواقع الفعلى بجميع حقوقهم الاجتماعية والسياسية ومن ثم فهم ليسوا بحاجة لنيل تلك الحقوق. وهناك بعض الاتجاهات الحديثة لمفهوم الذكورة تعرض وتقدم فى الوسائل الإعلامية المختلفة تتضمن "الخنوثة أى إيفمينوفوبيا". ولعل هذا يقودنا لتساؤل: هل إذا تناولت وسائل الإعلام تلك الاتجاهات الثقافية الخاصة بالخنوثة أو المثلية الجنسية سيتقبلها المجتمع؟

الفصل الثالث: نظام النوع الثنائى: نظرية كيور

هذا الفصل يطرح للطلبة مفاتيح النقاش داخل الاتجاهات النظرية المعاصرة، كتلخيص لأعمال "جوديث بتلر، وإيف كوسوفسكى سيدجويك" وكيف حاولا تبسيط الأفكار عن نظام النوع الثنائى. إذ ناقشت بتلر فى أشهر كتبها "مشاكل النوع" بفرضية ترى أن النوع الاجتماعى هو مجموعة من الأدوار والأفعال التى تتم داخل

النظام الاجتماعى وله آثار عملية تتعلق بالحفاظ على هوية النوع. فهناك الكثير من الصور التى تبث عبر وسائل الإعلام المعاصر تحاول طمس هوية النوع الاجتماعى، وترى أن النوع ما هو إلا مجموعة من الأدوار والأفعال التى يقوم بها كلا النوعين وتتسم بالمرونة والبساطة فى ظل النظام الاجتماعى السائد.

أما نظرية العالم كيور فهى تبحث فى مرحلة نقد ما بعد النسوية، وترى أن النوع يشير إلى "الجنس" والمجتمع قائم على نظام ثنائى مزدوج مكون من الذكورة والأنوثة. أما العالم سيدجويك فقد طور أطروحة بتلر من خلال رؤية تتضمن المشاعر والأحاسيس العاطفية التى تثير النواحى الجنسية، وهل تلك المشاعر لها علاقة بالنوع أم لا؟

تلك الإشكاليات والأطروحات النظرية تمت مناقشتها فى الفصلين السابقين، أما الجزء الثانى من الكتاب فيتناول تحليل القضايا المتنوعة فى النصوص الإعلامية المعاصرة، وتطبيق الأطروحات النظرية على دراسات حالة فى وسائل الإعلام المعاصرة.

الجزء الثانى: **دراسات حالة الوسائل الإعلامية**

الفصل الرابع: **النوع وما بعد النسوية فى الدراما التليفزيونية**

يشرح ويفسر كيف أن التليفزيون يعمل على زيادة جودة الدراما من الجوانب الإنتاجية، والتى يمكن وصفها بـ "السينما التليفزيونية". فالكثير من هذه العروض يستمد موضوعاته من الكتابات النقدية المقدمة فى المقالات الصحفية المتنوعة. ويظل الجمال فى هذه العروض هو ما تتضمنه موضوعاتها من نقد مستمر. ويضرب هذا الفصل مثالاً للمسلسل الدرامى الأمريكى "الجنس والمدينة" الذى فاز بجائزة لأنه اهتم بالجدل الثقافى حول النوع الاجتماعى وناقش الكثير من قضايا النوع المعقدة، ولذلك استمر عرضه طيلة عشر سنوات، كما اتسم النقد الموجه له بأنه عمل درامى يجمع ما بين الهزل والمرح وجلد الذات، كما تعرض لنقد لأنه ركز على قضايا الطبقة الوسطى، وتحيز إلى اللون الأبيض، كما أنه تضمن قضايا أنثوية مرتبطة بالنسوية

بشكل كبير، وهو ما فسره كيور فى الفصل الثالث، حيث اعتمد العرض على قصص لأربع سيدات يعشن معا فى بيت واحد، ومن ثم تعرضن لعلاقات وانحرافات جنسية، وقضايا المثليين، وقدمهم للمجتمع، فهل سيتقبلها أم لا؟ أما مسلسل "جنون الرجال" فتضمن علاقات جنسية أكثر تعقيدًا من مسلسل "الجنس والمدينة"، ولكنه عالجها بشكل ساخر وبصورة أكثر قتامة.

الفصل الخامس: بعد انتهاء العروض

يوضح هذا الفصل أسباب الاختلافات فى العروض التليفزيونية التى حصلت على نسب مشاهدة واسعة، وهو مسلسل "عشر سنوات أصغر" الذى حاز على إعجاب ومشاهدة الكثيرين وخاصة "العدوانيين"، وهو يسهم فى رسم الصورة المقبولة للمرأة فى المجتمع وفقًا للمنظور الثقافى السائد، فهو يظهر المرأة فى صورة محافظة ومحكومة بالعادات والتقاليد التى تحد من حريتها الشخصية، وتضعها دائمًا تحت الرقابة، فمثل هذه العروض تعمل على زيادة الكره للنساء والتحيز ضدهن. بخلاف العروض الأخرى، التى تهتم بصورة الأنثى اللطيفة التى تهتم بشعرها وملابسها وجسدها.

يعتبر الاهتمام بصور الجسد من أحد مفاتيح التنمية لدراسات النوع الاجتماعى، فالجسد كان شيئًا أساسيًا وضروريًا ضمن النظريات السابقة، فالثقافة تنظر للجسد كشىء مركب ومنظم. وهذا ما يظهر لنا فى العروض المقدمة، فالثقافة المعاصرة تهتم بصورة الجسد، بما يتناسب مع المنظور الثقافى "الإثنوجرافى" فى المجتمع. باختصار، لا يمكن تفسير الجسد بدون الثقافة التى توصفه وتشير إليه.

الفصل السادس: الاحتفال بالجسد ونمط حياة المجلات

يلقى هذا الفصل الضوء على ثقافة الاحتفال الخاصة بالجسد ونمط الحياة، حيث ناقش دارون فى كتابه "كيف يكون حال البشرية الآن" طرق فهم هذه العروض الاحتفالية، وأوضح أن أشكال التجسيد الجنسى المتضمنة فى العروض تعنى "احتفالًا ثقافيًا". وهذا المعنى يطرح العديد من التساؤلات، منها: ما القيم التى يمكن أن تفسر

المعانى الخاصة بالجسد وتخبرنا بها القصص فى تلك الاحتفالات؟ ما نوع السعادة التى تظهرها طقوس الاحتفال بالجسد والتغيرات النوعية التى طرأت على النظر إليه؟

وهذه الاحتفالات التى تشرح القيم والمعانى الخاصة بالجسد تقدم فى المجلات الخاصة بالطبقة الراقية، لذا أثير الكثير من الجدل حولها.

الفصل السابع: **وسائل الإعلام المعاصر ومضمونها حول النوع الاجتماعى**: **تواريخ العرض عبر الإنترنت**

ينظر هذا الفصل إلى نصوص الإعلام التى تعرض فى الدراما التليفزيونية على أنها تدعم الأدوار التقليدية للنوع، وتطرح التحديات التى تواجهها فى القيام بهذه الأدوار، فنظرية دارون لما بعد النسوية وما تقدمه من أفكار حول الذكورة والأنوثة تشير إلى أنه من المفترض أن يكون دور الوسائل الإعلامية جاذبًا لتلك الأدوار وداعمًا لها، ولكن ظهرت أفكار ورؤى جديدة تستخدم الإنترنت لتقديم تلك الأفكار وعرضها فى السنوات القليلة الماضية مثل "أفكار حول المثلية والمنحرفين والمنطوين المستقيمين".

كما يقدم هذا الفصل سياسة تأنيث العرض بحيث يسعى لتقديم رؤية جديدة لدور المرأة بعيدة عن النظرة التقليدية المحافظة للذكورة والأنوثة. تركز هذه الرؤية على مفاهيم النوع الاجتماعى وليس مفهوم الجنس، فأصحاب هذه الرؤية الجديدة يحاولون كسر التابوه المحافظ للفكر الذكورى والأنثوى السائد فى المجتمع، ولذلك فهم يحتاجون لوسائل إعلام حديثة تساعدهم فى طرح تلك الرؤى فى عروضها المستمرة.

الخلاصـــة

أشار هذا الكتاب إلى المفاتيح المهمة للجدل حول دراسة النوع الاجتماعى فى الوسائل الإعلامية، بما يعنى مناقشة الاختلافات بين الجنس والنوع، والآليات التى تتناول القضايا النوعية بما يلائم النظريات الثقافية التى تشكل الإطار العام للنصوص الإعلامية. يركز هذا الجدل على أن الوسائل الإعلامية لا تقدم أفكارًا حول الذكورة

والأنوثة فقط ولكنها تعتبر عملية لصنع الصور الخاصة بالنوع. فالثقافة البصرية خاصة فى السينما والتليفزيون– مؤسسة على قاعدة مهمة فى كل الفنون هدفها التوضيح والمشاهدة. فعل التحديق فى الصور مكرر من خلال نصوص وقصص كل من "السينما والتليفزيون، والإعلان، والوسائل الإعلامية عبر الإنترنت". والأكثر أهمية، أن الأفكار التى نؤسسها حول أنفسنا "مثل الطبقة، الثروة، الجنس خاصة"– لا تحدث بشكل عابر وإنما بتركيبة معقدة. إن مفتاح الخطاب داخل الوسائل الإعلامية يمدنا بما نقصده من فكرة النوع الاجتماعى وما يفعله فى الحياة اليومية.

وقد تمت الإشارة فى الفصل الأول إلى أن أهم العناصر فى مجال النظرية النقدية النسوية هو النصوص المقدمة فى الوسائل الإعلامية، والتى يجب أن تحترم الأنثى وتعرضها فى أفضل صورة، كما يجب على تلك النصوص مراعاة رأى المشاهدين واستيعاب وجهات نظرهم ونقدهم، حيث إن وسائل الإعلام تقدم العديد من النماذج التى تخاطب مفاهيم الذكورة والأنوثة وفقا للمنظور الثقافى السائد، ومن ثم يمكننا التساؤل: هل عرض النوع الاجتماعى فى الوسائل الإعلامية تغير أم لا؟

وأشار الفصل السابع إلى أن الوسائل الإعلامية المبثة عبر الإنترنت–"حجرات الدردشة"– على الرغم من كونها جذابة وافتراضية ومتحركة ومتفاعلة؛ فإنها تقدم الفرص لتغيير الأفكار النسوية المهيمنة على المجتمع وتدعم الحراك الاجتماعى نحو التغيير. لكن الواقع لا يعكس ذلك فما زال هناك تمييز ضد الإناث مثل "المنح الدراسية".

وفى الفصلين الثانى والرابع، تمت مناقشة العروض الدرامية المقدمة فى التليفزيون والوسائل الإعلامية المختلفة التى تشمل النوع الاجتماعى، فهناك العديد من العروض المقدمة يشتمل مضمونها على العديد من الأفكار الإيديولوجية المحافظة والمتعصبة ضد النساء، فى حين نرى أن بعض نصوص الدراما المعاصرة تحاول العمل على رفع الوعى حول قضايا التعصب الجنسى لكى يكون مقبولاً فى المجتمع، وبالرغم من ذلك مازال هناك الكثير من الجدل والنقاش حول السياسات

النوعية والكيفية التى تتناولها نصوص الوسائل الإعلامية المعاصرة، ومدى تقبل المجتمع لأدوار الذكورة والأنوثة وفقا لتلك النصوص.

فالنصوص المختلفة المعروضة فى وسائل الإعلام المعاصرة تحاول طرح الكثير من الأفكار النقدية لأدوار الذكورة والأنوثة فى المجتمع، وتحاول استمالة الكثير من الأفراد ليؤمنوا بهذه الأفكار ومن ثم يسعوا لتغيير الثقافات الخاصة بالنوع الاجتماعى فى المجتمع، لكن الواقع مازال يتعامل مع هذه الأفكار بنظرة تقليدية محافظة، فما زالت منظومة التنشئة الاجتماعية الذكورية قائمة على استبعاد النساء وكره تقدمهن. فمهما كانت الأفكار المطروحة حول النوع الاجتماعى سواء فى المحاضرات الجامعية أو النصوص الإعلامية جذابة لبعض الأفراد إلا أن الواقع تختلف رؤيته عن تلك الأفكار.

ولكن محاولات التغيير فى التوجهات والأطر الثقافية السائدة خاصة فيما يتعلق بمفاهيم الذكورة والأنوثة– وذلك عبر جميع المستويات الثقافية والطبقية– مازالت مستمرة، ولن تتم عملية التغيير إلا من خلال الوسائل الإعلامية وخاصة "الدراما التليفزيونية" الأكثر شعبية وشهرة، و"الإنترنت". فتلك النصوص الإعلامية تسعى جاهدة لتغيير مفاهيم الذكورة والأنوثة واعتبارها مكونًا أساسيًا من مكونات الثقافة، وأن مفهوم الأنوثة يعنى أداء دور معين يشمل العديد من الاحتياجات المحددة وفقًا للمرحلة التى تمر بها الأنثى، مع التأكيد على ضرورة احترام أفكارها ورغباتها، وذلك بالعمل على التأثير فى جميع المستويات العقلية "مستوى الشعور واللاشعور" للمشاهدين المتفاعلين وحتى السلبيين.

وتشير المقولات النظرية التاريخية إلى أن البناء الفوقى لا يمكن أن يحدث به تغيير أو تطوير إلا إذا كان التغيير قد تم فى البناء التحتى، بمعنى أن التغيير الثقافى فى أى مجتمع لا يمكن أن يحدث إلا إذا صاحبه تغيير اقتصادى واجتماعى وسياسى، وبالتالى تطبيقًا لتلك القاعدة فإنه لا يمكن أن يحدث تغيير فى منظومة الثقافة الخاصة بالنوع الاجتماعى وأدواره المتوقعة إلا إذا صاحب هذا التغيير تطوير فى منظومة التنشئة الاجتماعية السائدة، واستيعاب للمفاهيم الجديدة من قِبل المجتمع،

ومن قِبل نصوص المواد الإعلامية المعروضة فى الإعلام المعاصر. ولكن الوضع مازال مأزومًا، فوسائل الإعلام على الرغم من اقتناعها بضرورة التغيير فإن بعض خطاباتها لازالت تطرح السيطرة والهيمنة الذكورية على المجتمع. ولكن السبيل الوحيد هو نقد العروض التى تتضمن النوع الاجتماعى فى الوسائل الإعلامية، وكذلك نقد المنظومة الثقافية السائدة ومحاولة تطويرها.

نأمل أن يكون هذا الكتاب قد قدم للقراء الطرق التى تعرض بها الوسائل الإعلامية مضمون النوع الاجتماعى فى مختلف النصوص والسيناريوهات. فالمقدمة تضمنت رؤية مختصرة للمشهد الجدلى حول النوع الاجتماعى، ونأمل أن يوضح ذلك للطلاب الموضوعات المهمة التى يجب تطويرها، والمناقشات العلمية التى يجب إثراؤها. كما نأمل أن تكون تلك النصوص قد ألقت الضوء على قوة النوع الاجتماعى فى شكلها الرسمى، ومدى تطورها وتشكل هوية النوع. فنحن نتعجب من العروض النقدية لما بعد النسوية المعروضة فى الدراما التليفزيونية، التى تنطوى على سياسة قهرية للنوع الاجتماعى وإرساء لمفاهيم سيطرة الذكور، والخوف من إعلان الاحتفال بالجسد على صفحات المجلات العالمية "جالموروس" أو عبر الإنترنت. فجميع هذه الإشكاليات تقودنا إلى تساؤل: هل هذه العروض النقدية ترجعنا إلى سنوات طفولتنا الماضية عندما كنا نلعب بالدمى ونتعلم أن الذكور سيصبحوا ذكورًا والإناث سيصبحن إناثًا؟

عرض هذا الكتاب الإشكالية الجدلية حول النوع الاجتماعى من منظور المجتمع الغربى، وطرق عرضها وفهمها فى الوسائل الإعلامية المختلفة، وما عبرت عنه النصوص الدرامية والعروض الإعلامية المختلفة عن استمرار السيطرة الذكورية والسخرية والقهر لمفهوم الأنوثة وأدوارها فى ظل منظومة ثقافية مازالت تقاليدها وعاداتها محافظة على تلك السيطرة والغلبة لصالح الذكورة فى المجتمع.

وتدرج الكتاب فى عرضه لتلك الإشكالية، حيث بدأها بالتفرقة بين النوع والجنس من النواحى الثقافية والبيولوجية، ثم اهتم بعرض النظريات التقليدية الخاصة بالنوع الاجتماعى، كما عرض لبعض النظريات النقدية النسوية وما بعد النسوية،

وطبيعة النوع وإشكاليات فهم أدواره عبر العصور المختلفة، كما اهتم بالنزعة الثقافية للجسد وطرق الاحتفال به عبر الثقافات والعصور المختلفة، ومنظور التحديق للجسد ومدى استيعابه وقبوله من قبل مفاهيم الذكورة والأنوثة فى المجتمع، وأن ما يلائم الذكور فى عرض ما وزمن ما قد لا يلائم الإناث فى عرض ما أو زمن ما وقد لا يكون مقبولاً من المجتمع وثقافته بصفة عامة.

كما أثار الكتاب نقاطًا جوهرية بحاجة إلى نقاشات كثيرة لتطوير وتغيير مفاهيم النوع الاجتماعى وعدم قبول كل ما يبث عبر الوسائل الإعلامية المختلفة بدون نقدها ومحاولة تغييرها. وأوصى الطلاب بضرورة مراجعة ونقد كل ما يشاهدونه فى النصوص والعروض الإعلامية المختلفة وقبول المناسب للعصر ولمفهومى الذكورة والأنوثة. كما أوصى بضرورة إنصاف مفاهيم الأنوثة وتغيير الأطر الثقافية والاجتماعية حولها خاصة فى ظل التطورات والمتغيرات على الساحة العالمية. مع محاولة استيعاب الإشكاليات والمفاهيم الجديدة للمثليين والمنحرفين جنسيًا وغيرها.

كما ينبغى إعادة النظر فى طرق معالجة نصوص وخطابات وسائل الإعلام المختلفة للأفكار والإشكاليات المتعلقة بقضايا النوع الاجتماعى، والاستفادة بما طرحه الكتاب – خاصة فى الجزء الأول– من رؤى وأفكار للنظريات النسوية وما بعد النسوية فى فهم قضايا النوع الاجتماعى، ومحاولة تطبيقها فى نصوص وخطابات وسائل الإعلام المختلفة لتطوير وتغيير النظرة المجتمعية والثقافية لمفاهيم الأنوثة فى المجتمع.